قراءة في نص قد نموت مرتين وأكثر لمحمد علي علي

هيفاء حمّاد

قد نموت مرتين وأكثر

بعيد القصف، بحث بين الأنقاض، عثر على صورة ولده الشهيد المعلقة "جثة" متفحمة. هذه المرة، استشهدت صورة الشهيد.

الأنقاض هي تلك البقايا الحزينة لزمن قديم. هي مجرد ضحية من ضحايا الدمار، أياً كان مصدر ذلك الدمار، عوامل طبيعية أم نتيجة الحرب والقصف والتفجيرات. هل تنتهي المأساة بانتهاء مصدر الدمار؟! لا أظن ذلك، وإنما من هنا تبدأ المأساة وتبدأ رحلة البحث تحت الأنقاض عن الناجين وعن الشهداء وأشياء أخرى أودى بها الدمار. وتبدأ فرق البحث والإنقاذ المتخصصة بالقيام بعملها تبعاً لتخصص كل منها. والبحث في أبسط صوره هو محاولة العثور على

obeikandl.com

أطراف بشرية بين الأنقاض، ودعوة الناجين إلى تحديد مواقعهم. فكلما مر الوقت، قل العثور على أشخاص على قيد الحياة. ومع ذلك حين لا ينجو لناس من الأنقاض، فالعثور على الجثة لدفنها جزءا مهم بالنسبة للأسر المنكوبة، وذلك لوضع نهاية للمأساة.

وهنا في نص محمد علي علي (قد نموت مرتين وأكثر) نجد أن النص يبتدئ سرده بالجملة الإسمية (بعيد القصف) وهذا دليل على الوقت القصير الذي مر بعد القصف، فماذا يكون عادة بعد القصف مباشرة؟ لا بد أنه البحث تحت الأنقاض، وهذا ما تابع به الراوي (بحث بين الأنقاض)، إذاً الشخصية هنا بضمير المذكر الغائب، والراوي هو من ينقل لنا المشهد، وهذه الشخصية تقوم بالبحث بين أنقاض القصف الذي طال مكان ما لم يشر إليه الراوي. فربما كانت الشخصية في مكان القصف وكانت من الناجين منه، وتم البحث بعيد القصف مباشرة، وربما كانت في مكان قريب منه

obeikandl.com

واستطاعت الوصول مباشرة بعيد القصف لتقوم بالبحث، ولكن عمّ تبحث الشخصية؟ من خلال ما مر معنا من جمل في النص لم يتضح لنا ماهية بحثها، فهل تبحث عن أشخاص، أشياء، تبحث مساعدة لغيرها من المنكوبين، لا أحد يدري. فالراوي لم يذكر لنا سبب البحث، ولكن من خلال الجملة التالية (عثر على صورة ولده الشهيد المعلقة "جثة" متفحمة) ندرك أن الشخصية تبحث عن أشياء تخصها ربما بشر وربما أشياء وحاجات مهمة بالنسبة لها، وندرك أيضاً أن الشخصية التي يتناولها الراوي هي والد شهيد، وقد عثر على صورة لابنه الشهيد، ولكن هذه الصورة التي كانت معلقة ذات يوم، ما هي الآن وبعد القصف إلا جثة متفحمة. وطبعاً لم يتبين لنا من النص مكان تعليق الصورة، فهل كانت معلقة على أحد جدران منزل الأب أو الشهيد نفسه، أم كانت أمام منزله، أكانت على عمود إنارة، أم على أحد المرافق العامة حيث يكرم الشهداء

obeikandl.com

وتعلق صورهم عليها وتطلق أسماؤهم على تلك المرافق اعتزازاً وفخراً بهم؟ لم نتبين من النص تماماً أين كان مكان تلك الصورة المعلقة، ولكن كل ما تبين لنا أوحت لنا به كلمة (المعلقة) التي جاءت معرفة بالألف واللام وهذا دليل على أن والد الشهيد كان يدرك تماماً مكان الصورة ويدرك أيضاً أن القصف قد طالها، وها هو قد جاء يبحث عنها لينقذها أو ينقذ ما تبقى منها بعيد القصف. ولكن نتيجة البحث تكشف أنه قد عثر عليها جثة متفحمة، فهل تموت الصور كما يموت الأحياء؟ نعم، الصورة تملك معنى كبيراً بالنسبة للشخص الذي يحتفظ بها، فهي روح أخرى وجسد آخر يعيشان معنا بغياب الأصل. فيمكننا أن نحتفظ بالأشخاص أمام أعيننا وكذلك في قلوبنا، من خلال الاحتفاظ بصورهم معنا، فمهما كانت أهمية الأشخاص ومعزتهم، ومهما كان تعلقنا بهم، بغيابهم قد تغيب بعض ملامحهم عن أذهاننا، بعض تعابيرهم. وخاصة

obeikandl.com

بعد مرور السنين، أما الصورة فهي الذاكرة التي لا تموت، لا تنتهي، لا تتغير، إن تم الاحتفاظ بها بعناية وجدية، لأنها قد تتعرض للتلف إن لم يتم الحفاظ عليها، فتتغير ألوانها، تتشقق، وبالتالي تتغير معالمها. كما هي حقيقة الصورة في الذاكرة، إذاً قد تموت الصورة كما يموت صاحبها، وهنا الشخصية وجدت الصورة جثة متفحمة أي أن الصورة ماتت محترقة، فقد تتفحم الأشياء بالحرق، ولكن أن تكون جثة فهذا دليل الروح التي كانت تملكها الصورة بالنسبة لصاحبها أو مالكها، وهذا دليل لأهمية الصورة ومكانتها بالنسبة لمالكها. وبالانتقال إلى الجملة الأخيرة في النص نقرأ (هذه المرة، استشهدت صورة الشهيد)، جملة حزينة المعنى بكل ما فيها، فلم يكتف الموت بروح الشهيد، بل قد طال صورته هذه المرة. فالشهادة دُونت مرتين، مرة للشهيد والأخرى لروح الصورة، والحزن تضاعف،

obeikandl.com

حتى صورة الشهيد لم تنج من الموت ولكن الموت تحت القصف شهادة.

المدى الزمني للنص طويل نسبياً فقد يستغرق البحث دقائق وقد يستغرق ساعات أو أياما حتى يجد تلك الصورة المتفحمة، الأمر الذي يجعلنا ننظر للنص على أنه قصة قصيرة جداً. فعلى مستوى عدد الكلمات وما قامت سنا بتحديده ألا يزيد على/ 15/ كلمة، نجد أن النص قد تجاوز العدد المطلوب للكلمات، وكذلك تجاوز شرط اللحظية لزمن الحدث. على الرغم من وجود اللحظة الزمنية في النص ولكن قد تم تقديمها بعد لحظات زمنية أخرى ممتدة سبقتها.

وبالنسبة لشخصيات النص فهناك شخصية وحيدة دون سواها تناولها الراوي للإشارة إليها بضمير المذكر الغائب.

أما بالنسبة لأسلوب السرد والمنظور السردي فالنص مروي بضمير الغائب والراوي غير مشارك

obeikandl.com

في الحدث، ويعتمد النص على المنظور الخارجي المسلط على الشخصية، إذ يظهر لنا الراوي ما تقوم به الشخصية من خلال الأفعال (بحث، عثر) وكذلك يظهر لنا زمن الحدث (بعيد القصف) وقد جاء بالزمن الماضي. وأما مكانه فهو في النص بشكل ضمني غير محدد.

بالنسبة للحبكة القصصية تلعب دوراً في تحديد جنس النص بين ومضة قصصية أو قصة قصيرة جداً. وذلك من خلال التركيز على اللحظة الأهم في النص. فمثلاً لو قال الراوي: جثة متفحمة صورة ولده الشهيد بعيد القصف، هذه المرة استشهدت صورة الشهيد.

أو لو قال: بعيد القصف، صورة ولده المعلقة جثة متفحمة، هذه المرة استشهدت صورة الشهيد.

فالصياغتان هنا تجعلان المدى الزمني قصيراً جداً. ففي الصياغتين يركز النص على تفحم الصورة واستشهادها. ففي الصياغة الأولى تركز على تفحم

obeikandi.com

صورة الابن الشهيد. والثانية تركز على تفحم الصورة، ومن النهاية تستشف أن الصورة هي للابن الشهيد. وبالتالي كل ما يأتي بعد تلك اللحظة الزمنية يكون تابعاً لها. وبالتالي تم إبراز اللحظة المراد إبرازها أو تسليط الضوء عليها. وذلك من خلال طريقة السرد. وبهذا نكون ميزنا بين القصة القصيرة جداً والومضة القصصية.

obeikandl.com